

بناء المنظومة العلمية عند الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري
من خلال كتابه "المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة"

*The structuring of the Scientific poem in the Cheikh Tahar Atlili Al gumari's
"Composed Exerpts of my known literary works"*

أ/البشير غريب
الأستاذ الدكتور / عمّار حلاسة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر)
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة ورقلة.
bachirgharib90@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2020/12/26

تاريخ الإيداع: 2020/04/03

ملخص:

عرفت المدونة الشعرية العربية منذ القدم نماذج عدّة وأغراض متنوعة، ولعلّ العصر العباسي كان عصرا لانفتاح الشعر على المعارف والعلوم فنشأ في كنفه نمط جديد يستفيد من الشعر بناءه سمي الشعر التعليمي أو المنظومات العلمية، وتفرّع عن هذا النمط أشكال وأنواع باختلاف واتساع المعارف والعلوم، وبقي إلى هذا العصر نموذجا حيّا في الكتاتيب والزوايا ومراكز التعليم، نستعرض في هذه الورقة تجربة فن المنظومات عند قامة أدبية وفكرية جزائرية كرّست حياتها للعلم والتعليم والأدب، وهو الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري من خلال كتابه "المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة" ونحاول أن نستنطق منها آليات تشكيله وبناءه لهذا الفن ومظاهر التجديد فيه على مستويات النظم الثلاثة: الإيقاع . اللغة . المضمون. كلمات مفتاحية: المنظومة العلمية: الإيقاع؛ المعجم اللغوي؛ البحر الشعري؛ الموضوع؛ الشعر التعليمي .

Abstract:

Arabic poetry knew a multitude of models and purposes . In the abasside era poetry opened its horizon to knowledge and science. This facilitated the the coming of a new pattern that takes its main structure from poetry. It is the educational poetry or composed scientific poems. This type of poetry gave birth to other forms of poetry dealing with kwnow ledge and science which remained to this era in the zawaya, katatib and centers of education. This paper presents the experience in this art of one of the famous algerian

educators and writers that dedicated his life to science, education and literature. That is sheikh Muhammed TaharTlili al Gumari through his book "Composed Exerpts of my known literary works"trying to investigate the text on the way and mecanismsof composing the text, its structure and the aspects of innovation in this art taking into account the three levels of composing: rhythm, language and content/

Key words: scientific poem; rhythm;lexicon;Linguistic dictionary;thema.

أولاً : فن المنظومات :

1- مفهوم النظم :

لغة: يعرفه ابن فارس في المقاييس "هو أصل يدل على تأليف شيء"¹ وعند الفيروزبادي "النظم هو التأليف وضم الشيء إلى شيء آخر ، ونظم اللؤلؤ نظمه نظماً ونظاماً"² فالنظم إذن هو ضم الشيء إلى آخر ليؤلف عنصراً منتظماً . ومن ذلك نظم اللؤلؤ أو الخرز في سلك أو خيط واحد ومنه قول الفراهيدي في العين : "النظمُ نظمك خرازاً بعضه إلى بعض في نظام واحدٍ، وهو في كل شيء، حتى قيل: ليس لأمره نظام أي تستقيم طريقته، والنظامُ كلُّ خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظامٌ والجميعُ نُظمٌ ، وفعلك النظمُ والتنظيمُ"³ وكذلك عرفه الجرجاني "نظم اللؤلؤ في السلك"⁴

أمّا اصطلاحاً : فالنظمُ عرف عند العلماء والمدرّسين والمؤدّبين القدامى وارتبط كثيرا بدروس اللغويين و الفقهاء، وقد عرفه الجرجاني بأنه " تأليف الكلام والجمل مرتبة المعاني متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل"⁵ واجمع البلاغيون على أنّه " الكلام المقفّى الموزون بأوزان مخصوصة"⁶

لذا يطلق اصطلاح تسمية المنظومة على كل صيغة وزنية تتناول الأفعال العلمية لا الشعرية وهي بهذا الاختصاص تخلو من لغة الأدب المجازية.

و "يقصد بنظم العلوم ذلك الشعر التعليمي المجرد من الخيال والعاطفة، فهو لا يلتقي مع الشعر إلّا في صفة النظم فقط، وأغلبه يأتي من الرجز المزدوج أو المزاوج، وهو ما يستقلّ فيه شطرا كلّ بيت بقافية واحدة، والقليل منه يأتي في غير الرجز من بحور الشعر ويلتزم قافية واحدة من مطلع القصيدة إلى ختامها"⁷، كما يطلق عليه أيضا الشعر العلمي، فالأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون أو المنظومات كلّها تدخل تحت هذا النوع من الشعر.

2. نشأة المنظومات العلمية:

كان ظهور المنظومات العلمية في بداية القرن الهجري الأول وأشهر من خاض فيه هو العجاج التميمي وبعده ابنه رؤبة " فقد أكثروا في شعرهما من المفردات اللغة العربية الغريبة حتى ليكاد شعر كلٍّ منهما يكون معجماً لغوياً"⁸ واختاروا وزن الرجز لسهولة حركته وإيقاعه السريعة، ويقول شوقي ضيف معللاً هذا الاتجاه " ... ونحن نجد هذه الرغبة في العناية بالغريب عند الكثير من الشعراء وهو اتجاه تعليمي نظنّ ظناً أنّ الذي دعا إليه عناية الأجانب بتعلّم اللغة العربية ونهوض طائفة من العلماء بجمع اللغة و شواردها "⁹ ، ثم اشتهر هذا الفن وانطلق انطلاقاً فعلية في القرن الثاني للهجري مع حركة التعليم والتدريس في العصر العباسي، واشتغال العلماء بتحفيظ مسائل العلوم وقواعدها، فجعل هذا الفن وسيلة لتقريب المعلومة لذهن المتعلّم وثقيفه، وقد عدّ النقاد هذا اللون من الشعر من الموضوعات المستحدثة في العصر العباسي .

ويذكر المؤرخون أن فترة انتشار المنظومات في العصر العباسي في المشرق كانت الفترة نفسها في المغرب والأندلس، ويذكر " أنّ أول من اتجه إلى هذا اللون من الشعر هو يحيى بن حكم الغزال المتوفى سنة 250 هـ وأنّ له أرجوزة تاريخية قديمة نظمها في فتح الأندلس "¹⁰ واستمرّ هذا الفن في ثقافة التعليم عند العرب زمناً طويلاً وبلغ أوجّه في العصر المملوكي مع ظهور الزوايا والطرق الصوفية والكتاتيب المختلفة، ثم انتقلت هذه الثقافة إلى تعليم الجوامع في عصر الضعف وتبنته جامعات كثيرة إلى العصر الحديث من ذلك جامع الزيتونة والأزهر والقرويين وغيرهم. فكانت المنظومات من أبرز وسائل الحفظ و حصر العلوم والمسائل في أبيات منظومة يسهل حفظها واستحضارها عند الاستشهاد أو الامتحان .

ورصد لنا التاريخ المئات من هذه المنظومات والمتون في شتّى العلوم : كمتن ابن عاشر في أحكام الفقه المالكي ، ومتن ابن مالك والأجرومية في النحو والصرف، ومتن طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجوزي، في القراءات وغيرها

3 من دواعي وأسباب ظهور هذا الفن :

- أ- تطوّر الحياة الفكرية في العصر العباسي .
- ب- الأثر الفارسي . وترجمة الرباعيات والشعر التعليمي إلى العربية.
- ت- كثرة المعارف والعلوم .

ث- قدرة الكثير من العلماء على النظم، لسهولة بحره ونظمه.

4- الهدف من نظم العلوم :

أ- حفظ مسائل العلوم وأصولها

ب- تسهيل الحفظ والمذاكرة على الطلاب .

ثانيا: منظومة الشيخ الطاهر التليلي (المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة):

المعروف عن الشيخ محمد الطاهري التليلي القماري تكوينه الزيتوني الأصيل، ونشأته على ثقافة المتون والمنظومات آنذاك، وعلى الرغم من تجربته الشعرية المميزة، إلا أنه نظم العديد من المنظومات العلمية ليقدمها في شكل مختصرات لدروسه الخاصة في المدرسة التي أسسها أوائل القرن العشرين بمدينة قمار (مدرسة النجاح) وهي أول مدرسة معربة في المنطقة إبان الحقبة الاستعمارية، في هذه المدونة التي عنيناها بالدراسة ضمت جزءا من دروس وتعاليم الشيخ، ونظم فيها معارف وعلوم وحكما وأفكارا عدّة، يقول في مقدّمة الكتاب: " فقد كنت منذ مدّة أفكر في جمع بعض المقتطفات مما نظمته من الفوائد العلمية، والمسائل الفقهية مما استفدته من المطالعات، أو اعترضتني عند المحادثات، أو طلب منّي من المسائل المدرسية، وقد أنجزت بعض تلك الرغبات في حينها وكتبت في أمكنتها من الكتب التي ألفتها من مدرسية أو غير مدرسية"¹¹ ، وقد نختصر مجمل هذه المنظومات في:

1. الحكم والمقولات: حاول صياغة العديد من الحكم المتداولة بشكل نثري إلى منظومات شعرية ذات إيقاع غنائي خفيف، يسهل حفظها في الذاكرة وتداولها واستحضارها في أي موقف، من ذلك الحكمة القائلة : (خمسة ينبغي تعجيلها: قضاء الدين وتجهيز الميت وتزويج البكر وإطعام الضيف والتوبة) نظمها الشيخ في قوله : (البسيط)

عَجَلْ أُمُورًا فَإِنَّ الدِّينَ عَجَلُهَا	***	وَلَا تَرَيِّثْ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذَوِيبُ
قضاء دين وتجهيز لميتنا	***	تزوج بكر طعام ضيف في أدب
وتوبة من ذنوب لا عداد لها	***	تفز بسنة خير العجم والعرب ¹²

ففي هذا النسيج نرى الشيخ قد حوّل ما رواه حاتم الأصم إلى مقطوعة شعرية ليسهل إدراكها؛ فقد "قال حاتم: كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب."¹³ فتحويل النثر إلى شعر يحتاج عبقرية في البناء؛ لأن أحداث النثر محددة ولا تقبل الزيادة أو النقصان، وقد استطاع الشيخ تطويع بحر البسيط ليحيط بأركان هذا البناء، وهو بهذا يسير على طريق الإمام علي رضي الله عنه والشافعي عيه رحمة الله.

2. في اللغة وعلومها :

جمع فيها العديد من المسائل اللغوية وقضايا النحو والصرف واللغة، وهي منظومات لحفظ قواعد اللغة وتعلّم أسسها، ويبدو أنّها من ملخص تجربته في التعليم بمدرسته، من ذلك مسائل في الإعراب . ألفاظ القرآن الكريم . الأسماء . الحروف . الأعداد، يقول في إحداهن: (الرجز)

وأدوات الاستفهام عشرة	***	وواحد من بعدها مقرر
فهمزة وهل وما وأي	***	وكم متى وأين كيف الحي
ومن وأنى وأيان بعدها	***	وقد رأى بعض النحاة ردّها
وكّلها من الأسماء إلّا	***	همز وهل حرفهما تجلّى ¹⁴

وفي هذا محاكاة لألفية ابن مالك لطريقة البناء.

3. القيم والأخلاق:

خصّص الشيخ التليلي منظومات معيّنة لوصف القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة، ويبدو أنّها من ضمن برنامج التعليمي التربوي الذي يضيفه الشيخ مع عدّة علوم تدرّس للطلبة، كما أضاف عدّة منظومات من صميم تجربته الحياتية، التي كوّن منها معرفة وحكمة بقيمة الإنسان وتحولاته مع الحياة وظروفها ، نذكر ما قاله لضيفه ذات مرة ويستحبّ أن يقال لكل ضيف: (مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ	***	أَيُّهَا الْحَبْرُ الْهَمَامُ
قَدْ طَلَعْتَ الْآنَ بَدْرًا	***	بَيْنَ هَالَاتِ التَّمَامِ
وَنَزَلْتَ الدَّارَ ضَيْفًا	***	بَيْنَ أَبْنَاءِ كَرَامِ
فَلَكُمْ يَا ضَيْفَ بَيْتِي	***	أَلْفَ أَهْلٍ وَسَلَامِ
فَأَقِمْ مَا شِئْتَ ضَيْفًا	***	فِي اعْتِرَازٍ وَاحْتِرَامِ ¹⁵

ففي هذه الأبيات نرى الشيخ قد خرج عن شكل المنظومة العلمية التي بناها لنفسه، وقد رسم بمجزوء الرمل خصالا لأهل الفضل دون تحديد العدد أو ضبط المصطلح.

4. آراء في المعارف والعلوم:

وهي منظومات تعريفية ببعض العلوم والحقول المعرفية المختلفة، والغاية من نظمها هو حصر مضمونها ومنهج فكرها وتقديم نبذة عنها استدراجا للطلبة وتهينة الرأي نحوها، ويضيف رأيه وانطباعه كمعلم وأستاذ نحوها، من ذلك رأيه في الفلسفة والشعر والحقيقة والتعليم والتاريخ... إلخ، يقول عن الشعر: (الكامل)

بِالشَّعْرِ أَشْرَحَ صَدْرِي الْمَغْمُورَا	***	أَمْ بِالشَّعْرِ أَوْضَحَ الْمُسْتُورَا
وَالشَّعْرُ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ بِلَاغَةً	***	أَنْ لَا يَنْدَّ عَنِ الشَّعْرِ نَفُورَا
وَمِنَ الشَّعْرِ بِلَاغَةً لَوْ أَدْرَجْتَ	***	كَفَنَ الْحُرُوفِ لُظَلَّتِ الْمَقْبُورَا
مَا كُلُّ مَنْ نَظَّمَ الْقَوَافِي شَاعِرٌ	***	حَتَّى يَصُورَ قَصْدَهُ تَصْوِيرَا
فَيَرَاهُ بِالْأَذْنَيْنِ أَعْمَى مِثْلَمَا	***	بِالْعَيْنِ يَنْظُرُ نَاطِرٌ مَنْظُورَا ¹⁶

5. رسائل إخوانية:

اعتبر مجموعة من المقطوعات الشعرية ذات المضمون الإخواني منظومات لأنه قد غيب فيها جانب العاطفة وأظهرها فهنّ مناقب ومآثر من ذكرهم وعدّد خصالهم، فكأنه يرسم في كل شخصية مجموعة من القيم والأخلاق المجتمعة فيها ويثني عليها، لذا كانت في المجمل (شكلا ومضمونا) أقرب للنظم لا الشعر، من ذلك ما يذكر فيه مناقب الباحث أبو القاسم سعد الله . وكذا الشيخ قدور وكذا ابنته خيرة وتلاميذه .

6. في الثقافة العامة :

خصّص في الكتاب أيضا منظومات في الأنساب والعروش والتاريخ والأعداد والأعياد إلخ، منذ ذلك نظمه للأشهر القبطية :

طوبا مشير برهمـات برمدا	***	وبشنس تعزى ذي الشهور لقبطهم
بونا أبيب مسرا توت بابهم	***	هاتور كهك نلتها من سيطهم
تمّت شهور القبط مثل سواهم	***	فاحذر فديتك أن ترى من سقطهم ¹⁷

7. الألغاز :

وقد جمع فيها منظومات للألغاز معروفة وأخرى من إبداعه، وصاغها في نظمه الجميل، وضمن الكتاب العديد منها، ويبدو أنّها إحدى أساليب تحريض الطلبة على التفكير والتدبّر والتأمل بدل انتظار المعلومة جاهزة، واللغز من أهم الفنون الأدبية التي ابتكرها الإنسان، وبرعت الإنسانية في ألغازها وطرق عرضها، وهاهو الشيخ يصوغها في شكل منظومات علمية تقدّم للطلبة بشكل مشوّق و ظريف، نذكر من هذه الألغاز: (المجتث)

ما اسمُ ثلاثي الحروف	***	معناه بعض الخروف
يعطيك في البرد دفئا	***	تقصيه عند المصيف
منه الصفاء وصف	***	ومنه وصف للصوف
لو كانت الفاء منه	***	سينا كسين السيف
لقلت هذي بلادي	***	وهذه أرض سوف ¹⁸

ثالثا: خصائص المنظومة عند الشيخ محمد الطاهر التليلي :

1- إيقاع المنظومة :

المعروف عن إيقاع فن المنظومة أنّه بسيط وقريب من اللغة المتداولة اليومية، ولذا فكان بحر الرجز أشهرها وأظهرها في هذا المجال حتى أصبح الرجز خاصا بفن المتون والمنظومات العلمية، "وقد استغلّه العباسيون في شعرهم التعليمي الذي صنّفوا فيه أهل المقالات وتحذّثوا عن عجائب الخلق وقصّوا وساقوا الحكم والأمثال"¹⁹، غير أنّ نماذج المنظومات عند الشيخ محمد الطاهر التليلي جاءت بأوزان وإيقاعات مختلفة عن الرجز، وإن كانت تتضمن الرجز أيضا، وعوّضت الرجز في دوره الخاص باحتواء المضمون العلمي وتقريبه لذهن المتعلّم بشكل

سهل وسريع، هذه الدور هو من ميزة الشعر الغنائي لذا عمد الشيخ التليلي إلى الاستعانة بالأنماط الغنائية في الشعر العربي وأدرجها ضمن فن المنظومة وهي طريقة جديدة، جعلت من النظم يأخذ أشكالا وزنية وإيقاعية أخرى غير الرجز المتعارف والمألوف في المتون، من هذه الظواهر نجد استخدامه لـ:

1.1 البحور الصافية:

" ويسمّهما بعض العروضيين البحور البسيطة، وهي التي تتكوّن من تفعيلة واحدة"²⁰ وتتكرّر هذه التفعيلة في كامل القصيدة، وهي بحور غنائية تخلق إيقاعها المميز من خلال إيقاع التفعيلة الواحدة المتكرّرة، هذا التكرار يساعد بشكل كبير على انتظام المعلومات والمعارف في قالبه بشكل واضح ومساهم في فعل الحفظ مادامت البنية الإيقاعية وحدة متكرّرة، والرجز أولها، فسهولته من هذه الخاصية (تكرار التفعيلة مستفعلن)، وتليه البحور الصافية الأخرى: الكامل، المتقارب، الرمل، الهزج، المتدارك. كلها ذات طابع إيقاعي غنائي تألفه الأذن السامعة وتحفظ مضمونه بشكل سريع. من هذا نذكر ما جاء في البحر الكامل:

احفظ كتابك في الخزانة محكما *** إغلاقها كي لا يراه ذوو البصر

وابخل به عن عالم أو جاهل *** فالبخل خير من مطالبة البشر²¹

تمثل البحور الصافية نسبة 65 بالمئة من جملة منظومات الكتاب، وهي نسبة تبرز النظام الإيقاعي الجديد الذي ضمّنه الناظم لفن المنظومة الرجزية، وتبرز قدرة الشيخ التليلي في مزاجية الخصائص الإيقاعية الأخرى مع ما يحتاجه النظم في التركيب والتدوين، فهو في النهاية لا يحتاج من الغنائية الشعرية إلّا ما يخدم تقديم المعلومة وتشويقها للمتعلم بشكل جيد. وهو المتوقّر، والظاهر أنّ الشيخ التليلي أدرك هذا وأجاد توظيفه وهو تجديد يحسب له.

2.1 البحور المجزوءة:

وهي " البحور التي يحذف منها آخر تفعيلة من الشطر الأول وآخر تفعيلة من الشطر الثاني"²²، وهي ظاهرة إيقاعية كثيرا ما تأتي في الأنماط الغنائية في الشعر العربي، والبحر المجزوء استعمله الشيخ تليلي مقاربا به خاصة الرجز في الحجم الكمي لتراتب التفعيلات، ولسهولة نظمته وتداوله في الأذن الموسيقية. ومنه فقد ضمّ الشيخ التليلي نمطا إيقاعيا ثانيا للنظم

التعليمي، وهي ما يستعمل حاليا في تطبيق المحفوظات عند طلاب المدارس المدنية المعاصرة. نجد من هذا اختياره لمجزوء الرمل في إحدى ألغازه :

أخبروني زمـلائي *** عن أداة مستطيلة
قد بها التلميذ يـسمو *** للمقامات الجليلة²³
(فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن)

3.1.البحور المركّبة:

"ويسمى بعض العروضيين البحور الممزوجة، وهي التي تتكوّن من تفعيلتين"²⁴ وتمزج بين تفعيلات مختلفة، كالسيط والوافر والطويل... إلخ، لم تطرد هذه البحور في منظومات الشيخ التليلي، لكن استخدمها في الظاهر لتكثيف المعلومات وتجميعها في نسق نظمي واحد، وهي خاصية من الشعر القديم الذي قيل أنه تجميعي وتدويني لمتخيل الشاعر العربي، ففي قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل²⁵

قيل: " لم يقع الاختلاف في حسن الابتداء قول امرئ القيس: قفا نبك لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت"²⁶ وهذا من طبيعة وخصوصية البحر الطويل السائح في انتظامه الطويل تركيب عدد معتبر من الألفاظ، وهي ميزة اعتمدها الشيخ التليلي في الإحصاء وعرض المعلومات، وكذا ما يتعلّق بمعلومات شخصية نابعة عن تجربة ذاتية، فهو يمدّ جسرا إيقاعيا بين النفس الوجداني الشعري في البحور المركبة الطويلة والغنائي المباشر في الشعر التعليمي أو النظم، وهي طريقة جيّدة سمحت بانفتاح فن النظم على أنماط إيقاعية أخرى.

وعلى اختلاف هذه النماذج والأساليب الإيقاعية المضافة لفن المنظومة عند الشيخ التليلي تتضح بعض العوامل المساعدة في قدرته المزج بين خصوصيات الشعر والنظم . وقد نلخصها في:

- ثقافة الشيخ التليلي الشعرية ومعرفته واطلاعه الواسع على المدونة الشعرية العربية التراثية والمعاصرة.

- موهبته الشعرية، فقد عرف شاعرا مجيدا وهو ما سمح له بتغيير إيقاع المنظومه وإدراج بحور لم يعتد المعلم النظم عليها، سيما وأنّ الرجز اختص فيه العلماء وقد كان أغلبهم ليسوا بشعراء.

- تجربته في أدب الطفل، فالشيخ التليلي معروف بأنه من أوائل الذين كتبوا أدب الطفل في الجزائر وأبدعوا فيه، وله عدّة أعمال شعرية وأناشيد خاصة ، وهي ثقافة اكتسبها من تكوينه الزيتوني إبان تعليمه في تونس.

2 المعجم اللغوي:

المتأمل في لغة منظومات الشيخ التليلي ومعجمها، يلاحظ ذلك التباين في موردها ومصادرها، والتفسير الصائب، هو مهارة الناظم التليلي في صوغها متناسقة مع بعض في منظوماته العديدة، وقد نلخص حقول معجمه في :

1.2 المعجم التراثي:

نجد هذا المعجم طاع بكثرة خاصة في منظومات المسائل اللغوية والفقهية والبلاغية فتكاد تجزم أنّ ناظم هذه الأبيات نحوي قديم من العصر الأموي أو العباسي، وهذا راجع لتكوينه في جامع الزيتونة وثقافته التراثية الواسعة مما جعل لغته تراثية والمعجم التراثي العربي القديم حاضرا بقوة، إضافة إلى اضطرابه النظم على منوال أهل الاختصاص ممّن قدّموا علومهم ومسائلهم كمنظومات، وهو ما أقرّ به الشيخ وأجاد نظمه، ومن بين ذلك نجد هذا النظم الإحصائي للجمل التي ليس لها محل من الإعراب :

***	عدها سبع فلا تقلّ	***	"وجملّ ليس لها محلّ
***	وجملة الموصول في التعبير	***	كجملة ابتداء أو تفسير
***	وجملة اعتراض في التبیین	***	وجملة الجواب لليمين
***	لم يجزم الفعل فخذها واحتدّ	***	وجملة الجواب للشرط الذي
***	بحمد ربّ منجز موعوده ²⁷	***	قد كملت جملنا المقصودة

نلاحظ كلّ المعجم من لغة النحويين القدامى واصطلاحاتهم العلمية المعروفة. والناظم لم يأت بشيء جديد غير القلب النظمي المختلف عن طابع ابن مالك مثلاً أو صاحب الأجرومية. والنماذج في هذا الباب عديدة عند الشيخ التليلي في كتابه .

2.2 المعجم المعاصر:

تظهر اللغة المعاصرة ومعجمها خصوصاً في المنظومات الموجهة لتلاميذه في مدرسة النجاح . والظاهر أنّه مدرك لمنهج التدريس وطرق صياغة المعلومة بلغة عصره، فالغاية من توظيف هذا المعجم اللغوي هو الرهان على التواصل الجيد بين المعلّم وطلّبه وإيصال المعلومة باللغة التي يستوعبها المتعلّم ويتداولها، وهذا المطرد في منظومات الشيخ التليلي لكثرة ما يعرضه من معلومات تخص واقعه، وثقافة عصره وجيله. وليس بغريب أن يدخل بعضاً الألفاظ والمصطلحات الأعجمية الحديثة في قالب التندرّ والطرفة وهي من قبيل التواصل اللغوي المتداول في القرن العشرين.

3.2 المعجم المحلي:

وهو معجم مستوحى من اللغة الشعبية المحلية الخاصة بمنطقة الشيخ الطاهر التليلي ويظهر خصوصاً في ما يتعلق بمنظومات أسماء الأعلام والعروش والمناطق وبعض الأصدقاء . يضيف هذا المعجم بريقاً جميلاً نابعا من البيئة المحليّة للناظم ويجعل القارئ يربط بين المعلومة المفترضة والواقع المعاش والممارس في الحياة اليومية، إضافة إلى أنّ أغلب المنظومات مستوحاة من واقع الشيخ التليلي بمنطقة سوف الصحراوية وتجربته الحياتية التي نظّمها حكماً ومقولات مأثورة عنه، باعتباره معلّماً لأجيال عدّة في المنطقة، ولتجريد بعض المفاهيم الغامضة على المتعلّم كان لزاماً على الشيخ التليلي أن يمزج لغته بالمعجم المحلي، من هذا المعجم نجد نظمه لعروش مدينة قمار:

عروش قمار ذو فروع سبعة	***	وكل فرع قد يجاري طبعه
أولاد عبد القادر ومن أبو	***	عافية أبـوهم إن نسبوا
وإخوة ثلاثة صـيّا	***	موسى هو يمل لهم أولاد
بنو حميد وبنو تمام	***	وكل ما قدّمت ذو أقسام .

وعلى اختلاف الأنماط الثلاثة في معجم الشيخ التليلي إلا أنهم يحققون تكاملاً معرفياً موحداً في بناء منظوماته العلمية ولكل معجم دور خاص يؤديه داخل بناء المنظومة ويمكن تلخيصها في:

المعجم التراثي : الرافد المعرفي.

المعجم المعاصر: التواصل والتفاعل

المعجم المحلي: الهوية والإحساس بالواقع.

3. المعاني والقيم المعرفية والعلمية:

المتأمل لمضمون منظومات الشيخ التليلي يجد بأنها انقسمت إلى جزئين :

أ . منظومات تراثية:

وهي إعادة لمعلومات ومعارف سابقة أعاد صياغها بطريقته النظامية الخاصة، وأغلب ما ورد في هذا الكتاب مسائل نادرة حاول إظهارها وتقديمها في شكل منظومات مقتطفة ووجيزة.

ب . منظومات مستحدثة:

تستمد معرفتها وقيمها العلمية من تجربة الشيخ التليلي الخاصة في الحياة ونظرته في التعليم والتدريس، فقد صاغ تصوّراته ومعلوماته الخاصة في منظومات قدّمها لتلاميذه وطلّابه، ودوّّن أفكاره الخاصة في مقتطفات جعلها في مخطوطه. إضافة إلى تحويل التعابير الوجدانية كالإخوانيات إلى مجموعة قيم وأخلاق ومناقب يتصوّرهما في من ينظم عنه ويراهما فيه، فشخصية المربي والمعلّم مصطبغة في كل تفاعلاته الحياتية المختلفة، لذا فكلّ ما ينظمه نابع من تأمله للواقع الذي يراه ويعيه في مستويات عدّة، في قراءاته المختلفة، علاقاته الاجتماعية، وظيفته التعليمية.

رابعا: حوصلة (ملامح التجديد في النظم عند الشيخ الطاهر التليلي):

قد لامس التجديد منظومات الشيخ الطاهر التليلي الشكل والمضمون معا. فمن حيث الشكل :
* فإن توظيف البحور الغنائية وإدخال إيقاعات أخرى غير الرجز جعل من النظم أوسع حصرا وإحاطة ببحور الشعر.

إضافة إلى الإيجاز في المنظومة فأغلبها كانت قصيرة لا تتجاوز عشرة أبيات وفيهم من بأربعة أبيات . هذا الأمر راجع لمقتضى مناهج التدريس المعاصرة التي واكبها الشيخ التليلي وعمل بها في مدرسته الخاصة، إضافة إلى تباين مواقف النظم زمنيا ومكانيا و قلة أجزاء المعلومة في المنظومة الواحدة خاصة في نظم الحكم .

تحضر شخصية الشيخ الطاهر التليلي في المنظومات بشكل لافت للانتباه فقد استطاع تحويل حياته الخاصة وتجربته المميزة إلى صور من المعرفة جزأها في منظوماته وحول سجل حياته إلى كنز من المعلومات وقد ساعدته المنظومات في الإفشاء بها وفيها ما لم يدرج حتى في سيرته الذاتية التي طبعت من قبل " حياتي " ويمكن للقارئ أن يلمس روح الطرفة والفكاهة في المقطوعات من خلال انفعالاته الخاصة واختيارات مواضيعه وأسلوب تهكمه وتندرته

كل الكتاب هو صورة بانورامية عن شخصية الشيخ التليلي الحكيم وحياته الخاصة ومواقفه وآرائه وتجاربه في الحياة، نظمها كمعلومات وخبرات مجزأة في منظومات قصيرة ومقتطفات شعرية قيّمة.

خامسا: طريقة بناء المنظومة العلمية عند الشيخ التليلي:

قد سبق وذكرنا طرائق التفكير عند الشيخ تليلي في بناء منظومته، ولكن سنحاول رصد أهم النقاط لتكون خلاصة الخلاصة:

- إعادة لمعلومات ومعارف سابقة أعاد صياغها بطريقته النظامية الخاصة.
- تحويل التعابير الوجدانية كالإخوانيات إلى مجموعة قيم وأخلاق ومناقب فيطرزها في عقد فريد.
- توظيف البحور الغنائية وإدخال إيقاعات أخرى غير الرجز .
- اختلاف الزمان والمكان جعل من الشيخ التليلي يواكب عصره ولا يقلد من سبقه في طول نفس المنظومة.
- استعمال الملح والطرف عند البناء ليكسب المنظومة تشويقا عند القارئ.

- تأثره ببيئته فجعل قاموسه اللغوي مستمداً من لهجة عشيرته.
- تبسيط الألفاظ وطريقة عرضها عند البناء في النسيج الموجه للصغار.

الإحالات :

- ¹ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ج5، ص443.
- ² . الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط8، لبنان، 2005، ج 4، ص 115.
- ³ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: إبراهيم السامرائي ومهدي مخزومي، سلسلة المعاجم والفهارس، ط2، ج 4، ص238.
- ⁴ . الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دارالفضيلة، مصر، دت، ص 203.
- ⁵ . المرجع نفسه، ص 203.
- ⁶ . أحمد الهاشي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1969، ج1، ص40.
- ⁷ . عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، مصر، 2005، ص 329.
- ⁸ . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي . العصر الإسلامي، دار المعارف، ط11، مصر، 1979، ج2، ص 398.
- ⁹ . المرجع نفسه، ص 398.
- ¹⁰ . عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 334.
- ¹¹ . محمد الطاهر التليلي، مقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، تح: بشير خلف، دار سامي للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، 2019، ص10.
- ¹² . المرجع نفسه، ص 16.
- ¹³ - أبو نعيم أحمد الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ج8، ص 78.
- ¹⁴ . محمد الطاهر التليلي، مقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، ص 23.
- ¹⁵ . المرجع نفسه، ص 22.
- ¹⁶ . نفسه، ص 25.
- ¹⁷ . نفسه، ص 32.
- ¹⁸ . نفسه، ص 47.
- ¹⁹ . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص397.
- ²⁰ . عمر عتيق، مصطلحات العروض والقافية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2004، ص45.
- ²¹ . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص43.

- ²² - عمر عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 46.
- ²³ . محمد الطاهر التليلي، المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، ص 46.
- ²⁴ - عمر عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 45.
- ²⁵ . امرئ القيس، الديوان، تج: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004، ص 27.
- ²⁶ . ابن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تج: محمود نوري قيسي، جامعة الموصل، العراق، 1983، ص 52.
- ²⁷ . محمد الطاهر التليلي، المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، ص 31.

قائمة المراجع:

- (1) ابن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تج: محمود نوري قيسي، جامعة الموصل، العراق، 1983.
- (2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ج 5.
- (3) أبو نعيم أحمد الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، ط 1، بيروت، لبنان، 1996.
- (4) أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1969، ج 1.
- (5) امرئ القيس، الديوان، تج: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004.
- (6) الجرجاني، معجم التعريفات، تج: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، دت.
- (7) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبي نعيم أحمد الأصفهاني، دار الفكر، ط 1، بيروت، لبنان، 1996.
- (8) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تج: إبراهيم السامرائي ومهدي مخزومي، سلسلة المعاجم والفهارس، ط 2، ج 4.
- (9) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي. العصر الإسلامي، دار المعارف، ط 11، مصر، 1979، ج 2.
- (10) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، 2005، مصر.
- (11) عمر عتيق، مصطلحات العروض والقافية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2004.
- (12) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط 8، لبنان، 2005، ج 4.
- (13) محمد الطاهر التليلي، المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، تج: بشير خلف، دار سامي للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، 2019.